وصيّة الأب كريستيان

(فُتحتْ أ□د العنصرة – 26 أيار/مايو1996)

□ين نتوجّه صوب وداع نهائيّ (الى-الله À-Dieu)...

لو □دث لي يومًا ـــوقد يحصل ذلك اليوم— أن أكون ضحيّة الإرهاب الّذي يبدو الآن وكأنّه يريد أن يطال جميع الأجانب المقيمين في الجزائر، فإنّي أرغب أن□ تذكر رهبنتي وكنيستي وعائلتي أنّ□ يا□ي كانتْ مُهداةً لله ولهذا البلد.

فليقبلوا بأنّ السيّد الو□يد الّذي له السلطان على كلّ□ ياةٍ لن يكون غريبًا عن هذا الر□يل المفاجئ.

وليصلّوا من أجلي: كيف أُعتبر مستحقًّا لتقدمةٍ كهذه؟ وليعرفوا أن يضمّوا هذه الميتة بسواها من الميتا□ العنيفة الكثيرة الّتي□ رُكتْ في لامبالاة المجهول.

ليس لحيا□ي ثمنٌ أكثر من غيرها، وليس لها ثمنٌ أقلّ. على كلّ الأ□وال، ليس لها براءة الطفولة. فلقد عشتُ ما يكفي لأعلم أنّي □ريكٌ في الشرّ الّذي يبدو—يا للأ□ف— أنّه يسيطر في العالم، و□تّى□ ريكٌ في ذلك الشرّ نفسه الّذي قد يَضربني بشكلٍ أعمى.

□ين□ أ□ي الساعة، أودّ أن يكون لديّ لحظةٌ من الصحو□ خوّلني أن أ□ضرّع وأطلب الغفران من الله ومن إ□وا□ي في الإنسانيّة، وفي الوقت نفسه أن أغفر من كلّ قلبي لمن يصيبني بالضربة القا□لة.

لا أ□تطيع أن أ□منّى ميتةً كهذه. ويبدو لي أمرًا مهمًّا أن أعلن ذلك. فإنّي لا أرى كيف يمكنني أن أفرح بأن يُتَّهم بلا□ مييزٍ هذا الشعب الّذي أ□بّه بجريمة قتلي.

إنّ الثمن الّذي□ يُدفع مر□فعٌ جدًّا لقاء ما قد يسمّونه ربّما «نعمة الشهادة»، كي أدين به إلى جزائريّ، أيًّا كان، و□اصّةً إذا كان يتصرّف بإ□لاصٍ لما يعتقد أنّه الإ□لام.

إنّي أعرف جيّدًا الا□تقار الّذي أُ□يط به الجزائريّون وقد□ُكم عليهم بشكلٍ جماعيّ. وأعرف أيضاً الكاريكا□ور عن الإ□لام الّذي يشجّعه بعض التيارا□ الإ□لاميّة المتشدّدة. ومن السهل جدًّا أن نريح ضميرنا□ين نطابق هذا الطريق الدينيّ (الإ□لام) مع□عصّب المتطرفين فيه.

إنّ الجزائر والإسلام بالنسبة لي شيءٌ آخر، إنّها جسدٌ وروح.

لقد أعلنتُ ذلك بما فيه الكفاية، على ما أظنّ، اعتمادًا على ما لقّيته منهما. غالبًا، كنتُ أجد فيهما ذلك الخيط المستقيم الّذي يقود الإنجيل والّذي علّمته على ركبتَيْ أمّي، كنيستي الأولى، هنا بالذات في الجزائر، ومنها علّمتُ احترامًا تامًّا للمؤمنين المسلمين.

طبعًا قد يبدو موقفي مبرّرًا لمن اعتبروني على عجلٍ شاذًا أو مثاليًا: «فليقل الآن ما يعتقده». على هؤلاء أن يعلموا أنّ أحدّ فضولي إلحاحًا سوف يتحرّر أخيرًا.

فها أنا أتطيع، إن شاء الله، أن أغوص بنظري في نظر الآب كي أتأمّل معه أبناءه في الإسلام، كما يراهم هو، منوّرين بمجد المسيح، ثمار آلامه، مغمورين بعطيّة الروح القدس. ذلك الروح الّذي فرحه السرّيّ الدائم أن يقيم الشركة ويركّز على التشابه في لعبة الاختلاف.

هذه الحياة الّتي أعيشها، وهي الّتي بكليّتها هبة لي، وبكليّتها هبة لهم، أحمد الله الّذي يبدو أنّه أرادها بكاملها من أجل تلك الفرحة، بالرغم من كلّ شيء.

في هذا الشكر الّذي يُقال فيه كلّ شيءٍ عن هبة لي، أضمّكم أنتم أيضًا، أصدقاء الأمس واليوم، وأنتم أصدقائي هنا، إلى جانب أمّي وأبي وأخواتي وإخوتي وكلّ عائلاتهم، أنتم الّذين كنتم لي المائة ضعف الّذي لقّيته كما وُعد به.

وأنت أيضًا، يا صديق اللحظة الأخيرة، أنت الّذي لن أدرك ما الّذي فعله، نعم، من أجلك أنت أيضًا أريد هذا الشكر، وهذا الوداع (إلى-الله À-Dieu) الّذي نويتَه أنت.

وليُمنح لنا بأن نلتقي، كلصَّيْن سعيدَيْن في الفردوس، إن شاء الله أبونا نحن الاثنين.

آمين! إن شاء الله!

الجزائر، ١ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٩٣

تيبحيرين، ١ كانون الثاني/جانفي ١٩٩٤

كريستيان +